DE GAULLE (1890-1970)

الفصل العشرون

وداعًا ديجول

أربعون سنة كاملة مرت على رحيل الرئيس الفرنسي شارل ديجول جسدا لا روحا، أربعة عقود بالتمام والكمال سرت على مغادرة القائد العسكري شارل ديجول لفرنسا جسما لا فكرا ذلك أن كل ما في فرنسا اليوم من أحزاب سياسية ونقابات عمالية وجمعيات حقوقية ومنظمات إنسانية تتذكره وتقتدي بمقارباته وترى فيه البوصلة الهادية في زمن افتقاد الرؤى والتصورات.كل من في فرنسا اليوم، يدعي أتباعه ويزعم أنه من أنصاره، فالمتظاهرون الرافضون لإصلاحات ساركوزي ينادون باسمه والحكومة ترى أنها تسير على نهجه واليسار يدعو إلى إحيائه وأقصى اليمين يحرض على إعادة قراءة مبادئ المواطنة على الطريقة الديجولية.

هكذا يتحوّل الزعيم إلى أسلوب في الزعامة والقائد إلى نهج في القيادة والرئيس إلى مقاربة في الرئاسة وهكذا أيضا تحول شارل ديجول إلى «سياسة ديجولية».

أواخر القرن التاسع عشر للميلاد.. كان ميلاد شارل ديجول في مدينة «ليل» الساحلية الواقعة أقصى شمال فرنسا في عائلة كاثوليكية مثقفة ربته على المزاوجة بين المحافظة الأخلاقية والثقافة العلمية العالية.

تخرج ديجول من المدرسة العسكرية «سان سير» عام ١٩١٢ برتبة ضابط في شعبة سلاح المشاة وانخرط بسرعة في الجيش الفرنسي وانصهر بسرعة أكبر في حروبه ومعاركه مشاركا في الحرب العالمية الأولى بقوة وبسالة أدتا إلى إصابته بجروح بالغة

وأسره على يد القوات الألمانية وبقائه رهن الاعتقال مدة سنتين ونصف (١٩١٦ – ١٩١٨).

رحلته مع البزة العسكرية تواصلت إلى حد الحرب العالمية الثانية التي كشفت عن بعد سياسي كبير وجانب إستراتيجي عظيم لدى شارل ديجول، ذلك أنه لا زنازير الدبابات النازية ولا جلجلة الرصاصات الألمانية حملته على التخلي عن أرضه وتسليمها للغزاة.

رفض ديجول انهدنة مع الألمان الذين اجتاحوا فرنسا في جوان ١٩٤٠ وغادر فرنسا سرا عندما تولى الماريشال بيتان السلطة متجها نحو بريطانيا حيث قاد مقاومة بلاده في العاصمة البريطانية لندن وترأس حكومة فرنسا حرة.

وكما رفض المساومة على استقلال بلاده، وأعلن الانتفاضة على الألمان، أبى الرضوخ للبريطانيين مطالبا إياهم باعتبار كامل النفقات التي تقترضها حكومة فرنسا الحرة من بريطانيا لدعم المقاومة الفرنسية سلفه، وليست هبة، ترد زمن التحرير.

وكما وفى بعهده للبريطانيين بسداد الدين وفى بعهده للفرنسيين الذين عاهدهم في يوم من أيام الاحتلال الألماني بزوال الغزو الألماني و«محق» أتباعه قائلا لهم: «أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة ولكننا لم نخسر الحرب وسوف نناضل حتى نحرر بلادنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره».

وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتّى فتحت أمام ديجول أبواب رئاسة البلاد مرتين الأولى في ١٩٤٥ (عين رئيسا للحكومة الانتقالية وغادرها بسرعة) والثانية في ١٩٥٨ عندما ترأس الجمهورية الفرنسية الخامسة .

لم تختلف سياسته الدبلوماسية عن سياسته العسكرية في شيء، بل كانت امتدادا لها وشكلها الناعم..ذات الوقفة الأبية التي زعزعت أركان «الرايخ النازي» تعددت مثيلاتها وتكاثرت شبيهاتها..

أعادها ديجول عندما قطع علاقات بلاده ب«الأطلسي» في ١٩٦٦ ورفض انضواء فرنسا وأوروبا الغربية تحت أية مظلة سوفياتية كانت أم أمريكية.. وجددها عند تنديده

الصريح بالاحتلال الأمريكي لـ «الفيتنام» وبالسياسة الإمبريالية الأمريكية.. وكررها عند شجبه الواضح لعدوان جوان ١٩٦٧ واعتباره إسرائيل دولة توسعية استعمارية ترفض السلام.. وأعادها عند التوقيع على اتفاقات «آفيان» «الجبهة الوطنية لتحرير الجزائر» والتي أدت في مرحلة لاحقة إلى استقلال الجزائر في ١٩٦٣.

وطالما أن إباء الزعيم السياسي قطعة من إباء الشعب وجزء من كرامته ونتيجة إليه لاكتفائه.. فإن ديجول أبى إلا أن يشعر الفرنسي بعزته في بلاده فأقر دستورا جديدا «دستور الجمهورية الفرنسية الخامسة» ذا رؤى سياسية وتشريعية متطورة وأدخل إصلاحات اجتماعية واقتصادية مكنت فرنسا من القضاء شبه الكلي على البطالة ومن استرجاع مكانتها التجارية في القارة العجوز.

في ١٩٦٥ حصل ديجول على عالبية أصوات المقترعين في الانتخابات الرئاسية في مواجهة السياسي فرانسوا ميتران وبقيت فرنسا على ذلك النهج الاستقلالي إلى أن اندلعت ثورة العمال والطلبة في ١٩٦٨ على يد الشاب اليهودي (ذي النزعة الصهيونية كوهين بانديت والذي اختفى كليا من المشهد السياسي الفرنسي عقب استقالة ديجول) والتي أدخلت الرئيس ديجول في أزمة مع لبرلمان الذي رفض إقرار بعض الإصلاحات التي اقترحها فما كان من ديجول سوى الالتجاء إلى الشعب للاستفتاء بيد أنه رفضها بأغلبية ٥٢ بالمائة من الأصوات.

وبرفض الشعب لمقترحاته اختار ديجول مغادرة «الإليزيه» ومقاطعة السياسة والرجوع إلى قريته الصغيرة، ذلك أنه لا شرعية لبقاء الزعيم صاحب المشروع في منصبه طالما أن جزءا كبيرا من الشعب لا يؤمن بصواب رؤيته وبنجاح أطروحاته.

في ٩ نوفمبر ١٩٧٠ رحل ديجول وترك وراءه تركة سياسية ثقيلة ينوء بحملها جمهرة «الديجوليين الجدد» الذين يرون في مكافحة المهاجرين ومطاردة الغجر وسلب الجنسيات من أصحابها وفاء للعهد الديجولي، بل ويعتبرون أن صم الآذان عن نداءات المتظاهرين وهم بالملايين نسج على منوال الجنرال..

فرنسا اليوم تعيش صراعا بين "دعياء «الديجولية» على «الديجولية».. ما من شيء سوى لأنها لصقت في التاريخ الفرنسي الحديث وصارت جزءا من الهوية السياسية

الفرنسية ولأن المتبارزين اليوم على تركة ديجول أصغر من إكمال ما بدأه الجنرال..

أمجد بن مسعود في الشروق

١٣/ ١١/ ٢٠١٠

عصام خليفة يتحدث عن الجنرال شارل ديجول

في الذكرى الأربعين على وفاة الجنرال شارل ديجول، يسلط الدكتور عصام خليفة، أستاذ التاريخ في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية، الضوء على أبرز مراحل حياة الرئيس شارل ديجول. حاورته مارسيل عقل.

مقابلة إعداد مونت كارلو الدولية

سؤال ـ بعد أربعين عاماً على وفاة الجنرال شارل ديجول، ماذا بقي برأيك من هذا القائد الفرنسي الكبير ؟

هناك جدلية القائد التاريخي والشعب التاريخي. في هذا السياق، أود أن أشير إلى ثلاثة مستويات من بقاء الجنرال ديجول :

على المستوى الفرنسي والأوروبي : على الصعيد الفرنسي كان ديجول ذا رؤية إشرافية. هو الذي كتب عام ١٩٣٢ كتابه عن مكننة الحرب. وكان بعيد النظر وسبق حرب الحركة التي انتصر هتلر من خلالها في الحرب العالمية الثانية.

ثانياً، لم يستسلم ديجول للنازية، وقاد حركة تحرير فرنسا من الاحتلال. انتقل إلى لندن، حيث تولى قيادة حركة التحرير بنداءها الشهير من العاصمة البريطانية.

بعد عودته وانتصاره مع الحلفاء في تحرير باريس، قام بإصلاحات كبرى. فهو الذي أنجز الضمان الاجتماعي الفرنسي. كان له رؤية مساواة اجتماعية. صحيح أنه كان مسيحياً مؤمناً، ولكنه كان ذي رؤية ترتكز على العدالة الاجتماعية ومسؤولية الدولة في هذه العدالة.

على الصعيد الاقتصادي قام بإنجاز العملة الفرنسية بإصدار الفرنك الجديد، وأتم

أكبر أربع بنوك، كما أمّم وسائل الطاقة والنقل الـ SNCF.

على الصعيد الأوروبي آمن ديجول بأهمية الوحدة الأوروبية وعدم تبعية فرنسا وأوروبا لثنائية المحاور، سواء كان ذلك الولايات المتحدة أو روسيا.

كان صاحب رؤية وانفتاح على الصين وعلى العالم الثالث. وكان مع التحرر من عبء الاستعمار. من هنا موقفه من تحرير الجزائر وتقرير مصيرها، وخوض المفاوضات التي أدت إلى استقلال الجزائر وخروج فرنسا من مأزقها في حربها مع الجزائر.

س ـ وماذا عن مواقف شارل ديجول بالنسبة إلى العرب والصراع الإسرائيلي ؟

كان شارل ديجول مؤمناً بعدالة القضية الفلسطينية. حسّن علاقاته مع الرئيس عبد الناصر. ونحن نعرف جيداً أن فرنسا كانت تقف إلى جانب إسرائيل وتمدّها بالسلاح. إنما ديجول هو الذي أعاد التوازن إلى السياسة الفرنسية. كان منفتحاً ومع التفاعل مع العالم العربي.

س ـ عام ١٩٦٧ وبعد أشهر من هزيمة العرب، تلفظ ديجول بعباراتٍ وصف فيها الشعب اليهودي بأنه شعب يثق بنفسه كثيراً...

...ولكنه شعب تجاوز حدوده.

وقف ديجول إلى جانب العرب في حرب ١٩٦٧. كان يعرف جيداً أن أطماع إسرائيل التوسعية هو أمر مناقض للقانون الدولي ولقرارات الأمم المتحدة. وكان يؤكد دائماً على حق الشعب الفلسطيني في دولته.

س ـ وماذا عن مواقف شارل ديجول بالنسبة إلى لبنان الذي زاره أكثر من مرة؟

عاش ديجول في لبنان سنتين من عام ١٩٢٩ إلى ١٩٣١، وله خطاب شهير في الجامعة اليسوعية، وجّهه إلى الشباب اللبناني، أكد فيه على إصلاح الدولة اللبنانية وأولوية المصلحة العامة. وأكد على دولة القانون والخدمات وعلى دولة الحق أيضاً. وهو أمر نفتقد إليه حتى اليوم. وفي لبنان كتب كتابه الشهير عن مكننة الحرب.

عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ عندما كان زعيماً لحركة التحرر الفرنسية، زار لبنان وهو الذي

وعد اللبنانيين بالاستقلال مع الجنرال كاترو، لكن في إطار معاهدة. كان متفهماً لانتفاضة اللبنانيين في تشرين الثاني عام ١٩٤٣، وتوصل معهم إلى ما سُمي بالتسوية.

كان صديقاً للبنان وكان يعرف جيداً أطماع إسرائيل في مياه لبنان. وقد حذر في أكثر من مناسبة من هذه الأطماع.

عام ١٩٦٨ عندما قصفت إسرائيل مطار بيروت، منع ديجول تصدير السلاح إلى إسرائيل بعد هذا الهجوم، ووقف إلى جانب لبنان. وأدان الاعتداءات الإسرائيلية، كما أكد على أن لبنان له دوره في التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب.

obeikandl.com